معركتا مريا كيفالون (١١٧٦م) وتل الجزر (١١٧٧م)

"هزيمتان بيزنطية وأيوبية - دراسة مقارنة"

أ.د. محمد مؤنس عوض*

يتناول هذا البحث بالدراسة، معركتي مريا كيفالون[١] Myriokephalon التي هزمت فيها الإمبراطورية البيزنطية عام ١١٧٦م، وكذلك معركة تل الجزر[٢] Montgisard التي هزمت فيها الدولة الأيوبية عام ١١٧٧م، ويسعي إلي عقد مقارنة بينهما من خلال رصد أوجه التشابه وجوانب الاختلاف.

الواقع أن هذا البحث لا يتجه إلي اللهث وراء الأحداث من خلال تقديم عرض تقليدي للمعركتين المذكورتين، بل يسعي إلي تقديم نظرة بانورامية شاملة علي الحدثين العسكريين المذكورين ونتائجهما علي مختلف الأصعدة والمستويات.

تجدر الإشارة إلي أهمية دراسة الهزائم العسكرية حينذاك، لأنها تسلط الأضواء الكاشفة علي سلوكيات القادة وقت الخطر وردود أفعالهم تجاه عنصر المفاجأة في هجوم الطرف المعادي، وبالتالي فإن التركيز علي الانتصارات فقط، لن يجعلنا ندرك "المشهد التاريخي" علي نحو متكامل بصورة موضوعية.

من المهم هنا، ملاحظة أن هدف هذا البحث ليس النيل من فارس الإسلام البارز في عصر الحروب الصليبية، إذ أن صلاح الدين الأيوبي لا يمكن اختزال تاريخه العسكري المشرف في هزيمة تل الجزر١١٧٧م، وأرسوف عام ١١٩١م، لأن الإنجاز التاريخي البارز الذي قاد المسلمين إليه في صورة معركة حطين الحاسمة في ٤ يوليو ١١٨٧م، وانهيار مملكة بيت المقدس في أعقابها وفتح الساحل الشامي لأول مرة أمام المسلمين منذ أن أغلق تماماً عام ١١٥٣م إلي العام المذكور، وتهاوي القلاع الصليبية Crusader Castles، كل ذلك كفيل بالرد علي من يحاول - عبثاً - التقليل من شان ذلك القانون خلال هزيمة مؤقتة، هنا أو اخفاق هناك.

---

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعتي عين شمس والشارقة.

والواقع، أن الباحث في الموضوع المذكور يجد أن المادة التاريخية المتاحة لا تتوازن مع الهزائم العسكرية، وهو أمر متوقع خاصة من جانب المصادر التاريخية الرسمية التي حرصت دوماً علي إبراز الانتصارات والتقليل من شأن الهزائم.

من جهة أخرى، لا نغفل أن المنتصر دوماً يكتب التاريخ، لذلك فصلت المصادر الصليبية أمر انتصار الصليبيين في معركة تل الجزر وعلي رأسها ما كتبه مؤرخ المملكة الرسمي البارز وليم الصوري William of Tyre، الذي قدم تفاصيل ضافية في هذا الأمر من خلال دعاية سياسية لا تنكر ورغبة واضحة في الثأر من خلال دعاية سياسية ورغبة واضحة في الثأر من صلاح الدين الأيوبي الذي نكب الصليبيون بسياساته – حينذاك خاصة من خلال توحيد مصر وبلاد الشام جزئياً في قبضته.

بصفة عامة، بالنسبة لمعركة مريا كيفالون نلاحظ أن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) بعد أن فرغ من مشكلاته في أوروبا من خلال عقده لمعاهدة مع البندقية Venice عام ١١٧٧م، بالإضافة إلي استئناف الصراع بين البابوية وفردريك باربا روسا Frederick Barbarossa، وقد جعله ذلك يتجه إلي استئناف الصراع مع السلاجقة متوهماً أن في مقدوره حسم الأمر لصالحه في جبهة آسيا الصغرى Asia Minor وإيقاف التوسع السلجوقي هناك[٣]، دون إدراك واعٍ لموازين القوى بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة.

كما لا نغفل أن تحصين مدينة لاذيق في وادي نهر الميائدر قد شجعت العناصر الوطنية البيزنطية علي العودة إلي هذه المنطقة وتعميرها، وقد زودوا الخزانة الإمبراطورية بالضرائب، وشعر مانويل كومنين بضرورة تأمين بقاء السلطان فيها[٤] دعماً للإمبراطورية البيزنطية.

أما فيما يتصل بالجانب السلجوقي، يلاحظ أن قلج أرسلان الثاني (١١٥٦-١١٩٢م) رأي لجوء بعض المعارضين له إلي القسطنطينية في صورة الأميرين شاهنشاه وذي النون وقد رحب الإمبراطور مانويل بهما ولذلك زادت مخاوفه حيال ذلك.

ولا نغفل أن الإمبراطور فردريك باباروسا قد أجرى مراسلات مع قلج أرسلان الثاني علي اعتبار أنه العدو اللدود للإمبراطورية البيزنطية، ولا شك في أن ذلك شجع تلك القيادة السلجوقية علي حسم الصراع مع البيزنطيين في ساحات القتال.

تجدر الإشارة إلي أن قلج أرسلان الثاني كان قد تمكن من القضاء علي إمارة الدانشمنديين في سيواس؛ مما جعله يتشجع لمواجهة البيزنطيين من أجل تأمين حدوده الغربية في آسيا الصغرى[٥].

بصفة عامة ألتقي الطرفان عند منطقة مرياكيفالون Myriokephalon الواقعة في إقليم فريجيا Phrygia إلي الشرق من كوما Choma، وهي منطقة جبلية في آسيا الصغرى، وذلك في يوم ١٧ سبتمبر ١١٧٦م، وكان علي الجيش البيزنطي قطع ممراً بلغ طوله (١٠) أميال علي نحو سريع من أجل الخروج إلي سهل منبسط أمام مدينة قونية، ولذلك اندفع الجنود البيزنطيون مع عرباتهم ومعداتهم حتى تكدس بهم الممر، وقد ساروا إلي جوار الدواب والعربات المتلاحقة، وقد أصيبوا بحالة مرضية من مظاهرها الإسهال فخارت قواهم، كما أبطأت العربات الثقيلة التي حملت آلات الحصار، فوجد الجنود أنفسهم وقد حشروا وصار من المستحيل عليهم التقدم وتسببت المقدمة والمؤخرة في غلق الممر[٦] مما دل علي أن البيزنطيين كانوا في مواجهة كارثة عسكرية لا فكاك منها.

مع عدم إغفال أنهم كانوا أصلاً في من نقص المؤن والامدادات إلي جانب رصد قوات السلاجقة وإمكاناتها.

يلاحظ أن العناصر التركية كانت تراقب كل ذلك واتجهت إلي الانقضاض علي الجيش البيزنطي وعرقلت العربات الثقيلة حركة البيزنطيين، وقد هاجم الأتراك مؤخرة الجيش البيزنطي، وتمكنوا من وقف تقدمه وبالتالي كان محاصراً[٧] من الناحيتين.

وقد تمكن الإمبراطور البيزنطي من الفرار بصعوبة بالغة خلال أحداث تلك الكارثة العسكرية ويقرر المؤرخ البارز السير ستيفن رنسيمان Runciman Sir Steven.

أنه كان في مقدوره انقاذ الموقف، إلا أن شجاعة مانويل كومنين تخلت عنه، وقد تملكه الذعر ولاذ بالفرار خارج الدرب، وحاول جيشه أن يتبعه إلا أن الفوضى والاضطراب سيطرت عليه وفتك الأتراك بعدد وافر منهم ولم يفلت من ذلك المصير إلا أقل القليل[٨] ومن الجلي البين أنهم لم يجدوا قائداً يقدم لهم النموذج والقدوة في ذلك الموقف العصيب.

يلاحظ أن هناك من الباحثين من يميل إلي عقد مقارنة بين معركتي مريا كيفالون ١١٧٦م، ومانزكرت عام ١٠٧١م[٩] التي هزم خلالها الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجنيس (١٠٦٨-١٠٧١م) من جانب السلطان السلجوقي ألب أرسلان (١٠٣٦-١٠٧٢م) حيث تم أسر الإمبراطور والفتك بجيشه حينذاك، ومن أسباب ذلك؛ أن كلاً من المعركتين تعدان كارثتان عسكرية حلت بالإمبراطورية البيزنطية في ذات التاريخ الحربي العريق.

وقد أدرك الإمبراطور مانويل كومنين نفسه ذلك، فكان يقارن بين مريا كيفالون ومانزكرت حتى أنه أطلق علي نفسه "شريك الكوارث"[١٠] مع رومانوس ديوجنيس.

الأمر المؤكد أن معركة مريا كيفالون هي معركة حاسمة لأنها قضت نهائياً علي الحلم البيزنطي في طرد السلاجقة من آسيا الصغرى، وقد غيرت ميزان القوى لصالح المسلمين، كما أدت إلي تثبيت سلطة الأتراك في السلاجقة في آسيا الصغرى، وتحولت في أعقابها إلي أرض تركية مسلمة(١١).

كذلك وضعت تلك المعركة حداً أمام البيزنطيين في آسيا الصغرى، ولم يعد في مقدورهم القول بأن المناطق الخاصة للأتراك هو جزء من مناطق الإمبراطورية البيزنطية كما صار الطريق مفتوحاً أمام السلاجقة؛ من أجل التوغل إلي نحو أكبر صوب الغرب بعد أن تقدمت قوات قلج أرسلان وفتحت مدن اولو بولو Ulobolu، وكوتاهية، واسكي شهر إلي أن وصلت إلي سواحل بحرإيجة Aegeau Sea(١٢) علي نحو كشف عن الضعف الشديد الذي وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد معركة مريا كيفالون الحاسمة.

ولا نغفل هنا ملاحظة أن معركة مريا كيفالون التي حدثت عام ١١٧٧م، جاءت قبل (٢٧) عاماً من حدوث كارثة سقوط القسطنطينية التي شكلت القلب السياسي للإمبراطورية البيزنطية خلال أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م علي أيدي القوي الأوروبية الغربية لأول مرة في تاريخها منذ أن افتتحها الإمبراطور قسطنطين الكبير في مايو ٣٣٠م، ودلالة ذلك أن هزيمة مانويل كومنين في المعركة المذكورة؛ جاء معبراً عن الضعف الداخلي الذي كانت تعاني منه تلك الإمبراطورية خاصة أن السقوط في التاريخ دوماً يكون من الداخل قبل الخارج وهكذا نكب الإمبراطور المذكور متبني سياسة التغريب Westernization بكارثة في مقتل عصف بمكانته السياسية ويري البعض أنه كان في مقدور قلج أرسلان الثاني إملاء الشروط القاسية علي الإمبراطور كومنين علي إثر تلك الهزيمة الفادحة، ويحصل منه علي اخلاء آسيا الصغرى أو الحصول علي موانئ ساحلية ذات موقع استراتيجي ممتاز، حيث أنه لم يقدم علي ذلك، اختلف المؤرخون في تقليل هذا الأمر، وقد قرر ستيفن ريسمان أن ذلك السلطان لم يدرك قيمة الانتصار الذي حققه، وهو أمر مستبعد، أما عثمان توران فقد اعتقد أن السلطان قبل طلب الإمبراطور للسلام لأسباب مجهولة، بينما علل كلود كاهن الأمر من خلال أن السلطان كان يريد دعم مركزه في وسط الأناضول Anatolia وأن توجهه كان صوب الشرق لكي يقوم بدور بارز في شمالي بلاد الشام وإقليم الجزيرة والاستفادة من الفراغ السياسي الذي حدث بعد وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م(١٣).

والواقع أن تسلسل الأحداث ذاتها يجعلنا نرجح الرأي الأخير، إذ أدرك ذلك القائد السلجوقي أن عليه الاستفادة من ذلك الفراغ السياسي المذكور لتحقيق طموحاته هناك.

أما بالنسبة لمعركة تل الجزر فقد وقعت أحداثها يوم ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م، وهو يوافق عيد القديسة كاترين السكندرية St. Catherine of Alexandria، ووقعت في منطقة تل الجزر علي بعد ٨ ك. جنوب شرقي الرملة[١٤] بفلسطين.

وقد اتجه صلاح الدين الأيوبي إلي محاربة الصليبيين، وذلك بعد أن تمكن من إسقاط الخلافة الفاطمية عام ١١٧١م، وسعي إلي توحيد دمشق مع القاهرة عام ١١٧٤م عندما تقدم صوب عاصمة بلاد الشام التاريخية في أعقاب وفاة نور الدين محمود، وهكذا وجدناه قد غادر القاهرة في نوفمبر عام ١١٧٣م، وأتجه صوب فلسطين، ونزل علي عسقلان، الواقعة نحو (١٣) ك .م إلي الشمال من غزة، وكان الصليبيون قد تمكنوا من إخضاعها لسيطرتهم في عام ١١٥٣م، في عهد الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣م) وبالتالي سقطت آخر مدينة فاطمية علي الساحل الشامي.

لقد حكم مملكة بيت المقدس الصليبية عندئذ الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤-١١٨٥م) وعندما علم بتقدم صلاح الدين بقواته؛ أسرع إلي عسقلان وكانت القوات الأيوبية قد تمكنت من فرض الحصار عليها، واتجه صلاح الدين ببعض قواته نحو حصار بيت المقدس، فطلب الملك الصليبي المذكور الدعم من قوات الداوية Templars في غزة واللحاق به في عسقلان، وعندما كانت القوات الأيوبية تجتاز منخفض عند تل الجزر Montgisard إلي الجنوب الشرقي من الرملة[١٥]؛ أنقض الصليبيون عليها، فلاذ عدد كبير منهم بالفرار، ويلاحظ أنهم لم يكن لديهم حصن قريب يمكنهم اللجوء إليه والاحتماء فيه[١٦]، أما صلاح الدين الأيوبي نفسه، فقد تولي حراسه حمايته وتعرض للموت عدة مرات خلال تلك المعركة، وهام جنوده علي وجوههم ولجأوا إلي مستنقع عرف بعين القصب واختفي بعضهم فيه[١٧]، وقاموا بالانطلاق نحو صحراء شبه جزيرة سيناء[١٨] القاحلة متجهين صوب مصر وهم علي أسوأ حال حيث يؤكد ابن شداد أنهم ضلوا الطريق وتبددوا[١٩].

ويقدم لنا المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre تفاصيل مسهبة عن أحداث تلك المعركة، ويتضح منخلالها أن الهزيمة كانت فادحة، وقد اضطر فرسان الجيش الأيوبي إلي إلقاء متعلقاتهم منها نحو مائة درع من علي ظهور الخيول حتى يتمكنوا من الاسراع بالفرار تخفيفاً للمعدات التي يحملونها.

كذلك أشار إلي سوء الأحوال الجوية التي لم تكن في صالح الأيوبيين حيث هطلت الأمطار بغزارة مصحوبة ببرد شديد، وقرر ما نصه: "أن العوامل الجوية نفسها قد تآمرت ضد الأعداء".

كما أشار ذلك المؤرخ أن عناصر البدو هاجموا الفارين من عناصر الجيش الأيوبي علي نحو يؤكد تعدد العوامل المعوقة له حينذاك[٢٠]، وتجدر الإشارة إلي وجود الأمير الصليبي رينو دي شاتيون Renauld de Chatillon المعروف في المصادر العربية بأرناط كان ضمن القيادات الصليبية في أحداث معركة تل الجزر، وبالتالي يؤكد ذلك علي وجوده في الأحداث البارزة في تاريخ صلاح الدين كما في تل الجزر ١١٧٧م، والهجوم الغادر علي الحجاز عام ١١٨٣م، ومعركة حطين عام ١١٨٧م، وبالتالي ليس في الإمكان كتابة تاريخ السلطان المذكور دون ذلك الأمير الصليبي ونفس الأمر بالنسبة للأخير خاصة منذ اطلاق سراحه من أسر المسلمين.

الأمر المؤكد أن السلطان الأيوبي لم يكن أمامه سوى الانسحاب، لأن مواصلة القتال خلال تلك الظروف القاسية الغير متكافئة عسكرياً كان يعد نوعاً من الانتحار العسكري وبالتالي السياسي، مع ملاحظة أن المؤرخين الذين تستهويهم دوماً الانتصارات الحربية نظروا إلي ذلك الانسحاب علي أنه عار لحق بذلك القائد، بينما كان من الحكمة القيام بذلك من أجل إعادة الصفوف مرة أخرى وهو ما تم فعلاً.

ولا نغفل في هذا الأمر أن أستاذه في حركة الجهاد الإسلامي ونعني به نور الدين محمود (١١٤٦- ١١٧٤م) انهزم هو الآخر منقبل في معركة البقيعة[٢١] في سفح حصن الأكراد Crac des Chevaliers فيما بين طرابلس وحمص ولاذ بالفرار لكي يواصل الصراع الحربي مع الصليبيين من بعد.

الواقع من الجوانب المهمة في دراسة المعركة المذكورة أبطال تجهل اسماءهم من عناصر الجيش الأيوبي، في صورة الحراس الشخصيين لصلاح الدين الأيوبي إذ دافعوا عنه باستماته ودفعوا حياتهم ثمنا لبقائه[٢٢] حياً يرزق، ولا تذكر المصادر التاريخية اسماءهم علي الرغم من أهمية دورهم في تلك الظروف العصيبة وبالتالي هذا يؤكد أن هناك شخصيات مهمشة كان لها دورها البارز في تاريخ ذلك السلطان، ولم نجد من يقدرها من المؤرخين المعاصرين الذين غالباً ما اختزلوا التاريخ حينذاك فيشخص القائد وهو أمر يخالف الواقع التاريخي لأن التاريخ يصنعه دائما الطرفان القائد والمجموع الشعبي يلاحظ وجود شخصية مجهولة في صورة مقاتل كردي دافع عن نور الدين محمود في يوم معركة البقيعة، وقام بقطع الحبل الذي كان يربط حصان ذلك القائد المسلم بالوتد في الأرض، وعلي أثر ذلك تمكن الأخير من امتطاء صهوته والفرار، فأنقذه من

موت محقق!!، ولا نعرف له اسماً مع ملاحظة أن نور الدين محمود حرص علي رعاية عائلته وأجزل لهم العطاء تقديراً لموقفه النبيل وبالتالي تشابه الموقفان معاً، بطل في عهد نور الدين ومجموعة من الأبطال الحراس الشخصيين لصلاح الدين الأيوبي.

ومما زاد من صعوبة الموقف بالنسبة لمعركة تل الجزر؛ أن قاعدة الجيش الأيوبي في العريش تعرضت للهجوم من جانب عناصر البدو الخونة[٢٣] الذين استغلوا تلك الأحداث.

الواقع أن علينا رصد سلوك صلاح الدين الأيوبي حينذاك، فقد حاول أن يعيد الأمور إلي نصابها دون جدوى، واتجه إلي اجتياز شبه جزيرة سيناء وكان ذلك العبور شاقاً للغاية جسدياً وقد أرسل من الحدود المصرية الرسل علي الهجن إلي القاهرة حتى يتم إخبارهم بأنه لا يزال علي قيد الحياة ليمنع أية محاولة للتمرد، وقام الحمام الزاجل بإبلاغ كافة أنحاء مصر بعودته إلي القاهرة.[٢٤]

عند تقيمنا لمعركة تل الجزر التي عرفت في المصادر الأيوبية بكسرة الرملة[٢٥]، نجد أنها لم تكن معركة حاسمة فلم تؤد إلي هزيمة فادحة بالجيش الأيوبي الذي تمكن فيما بعد من إسقاط المملكة الصليبية بعد أحداثها بثلاث عشرة سنة ١١٨٧م، ومع ذلك فإن الانتصار من جانب بلدوين الرابع فيها جاء ليؤكد تمكنه من حماية القلب الصليبي في بيت المقدس.

من جهة أخرى، كانت تلك المعركة درساً قاسياً لصلاح الدين الأيوبي.

وقد أثرت فيه علي النحو التالي :

أولاً: أدرك أن الهجوم علي الصليبيين ينبغي أن يكون من الشمال منطلقاً من دمشق لامن الجنوب انطلاقاً من القاهرة، نظراً لبعد المسافة بين منطقة الانطلاق والهدف العسكري المتجه إليه من أجل تأمين خطوط تموين قواته[٢٦] خاصة أن شبه جزيرة سيناء كان اختراقها يعتبر أمراً شاقاً مع وجود عناصر من البدو الخونة الذين قدموا خدماتهم لمن يدفع لهم أكثر وكانوا عوناً بصفة عامة للصليبيين ضد المسلمين وتمثلت خطورتهم في وجودهم علي أرض الإسلام وقد أفاد الغزاة منهم في مرات عديدة.

والأمر المؤكد أن أداء الجيش الأيوبي فيما بعد في حطين عام ١١٨٧م، كان بمثابة التصحيح العسكري لما حل به عام ١١٧٧م علي نحو دل علي أن خبرة صلاح الدين الأيوبي كقائد كانت تنمو وتتزايد وتستفيد من التجارب السابقة علي الرغم من قسوتها.

ثانياً: زاد إصرار صلاح الدين الأيوبي علي قتال الصليبيين، ولذلك أشارت المصادر إلي أنه "حلف لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج"[٢٧] مما دل علي أنه أراد الثأر لتاريخه العسكري من تلك الهزيمة التي كان لها أثرها النفسي البالغ السوء وهنا من الممكن الافتراض بأن ذلك السلطان أدرك خطورة الفارس الصليبي أرناط علي تطور الأحداث، ويلاحظ هنا إن هناك نقاط التقاء عدوانية بين القائدين المسلم[٢٨] والصليبي يمكن ملاحظتها من خلال معركة تل الجزر ١١٧٧م، وحملة أرناط الغادرة الفاشلة عام ١١٨٣م، ثم حطين ١١٨٧م حيث تمكن صلاح الدين من الفتك به شخصياً مع معاونة البعض من رجاله وبالتالي فإن تعليل انتصار عام ١١٨٧م لا يمكن فهمه دون احداث معركة تل الجزر عام ١١٧٧م وتوابعها من احداث امتدت نحو العقد الثامن من القرن ١٢م والعلاقة العدائية بين القائدين المذكورين.

الأمر المؤكد أن صلاح الدين الأيوبي امتلك شخصية لا تنسي ثأرها – وهو ثأر الجيش الأيوبي بطبيعة الحال- وقد تدعم مبرر ذلك الثأر علي نحو قوي من خلال تآمر ذلك الفارس الصليبي بهجومه علي الحجاز عام ١١٨٣م حيث الأماكن المقدسة الإسلامية علي نحو أكد للسلطان المذكور ضرورة الفتك به وهو ما حدث فعلاً في ٤ يوليو ١١٨٧م.

جدير بالذكر، أن صلاح الدين الأيوبي نال ثأره من الصليبيين، إذ اصطدمت قواته معهم في ١٠ يونيو ١١٧٩م – أي بعد قرابة العام ونصف من معركة تل الجزر- في معركة سهل مرج عيون[٢٩]، وتمكن خلالها الجيش الأيوبي من قتل العديد من فرسانهم ولم ينج بلدوين الرابع نفسه إلا بصعوبة ووقع في الأسر عدد كبير من الفرسان والبارونات الصليبيين.

وهكذا يتأكد لنا أن ذلك السلطان لم يندفع في عملية عسكرية جديدة غير مأمونة العواقب عقب معركة تل الجزر مباشرة بل انتظر إلي أن كان التوقيت المناسب من أجل انزال الهزيمة بالصليبيين، ومن المفترض- منطقياً – تجنبه للأخطاء التي ارتكبت في المعركة المذكورة عام ١١٧٧م علي نحو مكنه ومكن قواته من صنع انتصار عام ١١٧٩م.

ثالثاً: من المفترض منطقياً أن صلاح الدين الأيوبي سعي إلي أن يلعق جراحه بعد معركة تل الجزر التي عّدت الهزيمة الأولي في تاريخه العسكري حيث كانت الثانية في أرسوف

عام ١١٩١م بعدها ب (١٤) عاماً وبالتالي أدرك ضرورة الحذر الشديد في أية تحركات عسكرية كبيرة مستقبلية، ومن الأمور ذات الدلالة أنه لم يقدم علي معركة حطين الحاسمة إلا بعد انقضاء عهد بلدوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥م)، عندما تأكد تماماً من أن الصليبيين يمرون بمرحلة حرجة من التدهور الذي لن يتمكنوا معه من تحقيق انتصار حاسم علي القوات الأيوبية وفرض عليهم مكان وزمان المعركة علي نحو أدي إلي النصر المبين وبالتالي تجنب أي خطأ عسكري أرتكب في معركة تل الجزر.

وهكذا يتأكد لنا أن يوم ٤ يوليو ١١٨٧م والانتصار الحاسم الذي حدث فيه ضد الصليبيين في صورة حطين لم يكن بالأمر السهل، بل من ورائه مشاق بالغة ودروس قاسية كما في المعركة المذكورة.

رابعاً: هناك زاوية علي جانب كبير من الأهمية تفيدنا في فهم شخصية ذلك القائد المسلم البارز عصر الحروب الصليبية، فقد تعرض للموت خلال تلك المعركة المريرة عدة مرات - كما أسلفت الإشارة - وأدرك نجاته علي نحو دل علي إيمانه وسعة أفقه، فقد ذكر للبعض "لقد أشرفنا علي الهلاك غير مرة وما أنجانا الله سبحانه منه إلا لأمر يريده سبحانه"[٣٠]، وهو ما أكدته الأيام بعد ذلك بعشر سنوات عندما قاد المسلمين نحو انتصار تاريخي غير مسبوق في حطين في ٤ يوليو عام ١١٨٧م.

إن ذلك القول يكشف لنا عن عمق رؤيته وحكمته، فهو لم ينظر للأمور علي نحو قاصر بل عبر رؤية عميقة نتوقع وتستشرف المستقبل وكانت تلك الرؤية الثاقبة معبرة عن ملمح بارز من ملامح شخصيته.

عند المقارنة بين معركتي مريا كيفالون وتل الجزر يتضح لنا الآتي:

١) حدثت المعركة الأولي في آسيا الصغرى Asia Minor، أما الثانية؛ توقفت في غربي آسيا في فلسطين، أي أن المعركتين آسيويتين الطابع بوجه عام، وأن اختلفت الأولي عن الثانية، إذ أن مرياكيفالون ذات طبيعة جبلية، أما تل الجزر، فهي ذات طبيعة صحراوية، ولا نغفل هنا أهمية العنصر الجغرافي عموما؛ فالجغرافيا توجه التاريخ وما التاريخ إلا الصراع علي الجغرافيا في بعض جوانبه، فالملاحظ أن المناطق الجبلية تسمح بالمناورة من خلال ذكاء القائد وتخطيطه للأمور بحنكة وحكمة، أما المناطق الصحراوية؛ فهي مكشوفة تماماً خاصة في حالة معركة تل الجزر لعدم وجود أي حصن يمكن للمسلمين

اللجوء إليه وكان من أهم العوامل التي أدت إلي إلحاق الهزيمة بهم واضطرارهم إلي الانسحاب مسافات شاسعة للوصول إلي القاهرة مجهدين منهكين.

٢) معركة مريا كيفالون تعد معركة حاسمة، لأنها أدت إلي تغيير خريطة توزيعات قوى الجغرافيا السياسية في منطقة آسيا الصغرى لصالح سلاجقة الروم وهزت بعمق مكانة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين داخلياً وخارجياً، وبالفعل وصفت بأنها كسرت إرادة الطرف البيزنطي أما معركة تل الجزر، فلا توصف بهذا الوصف؛ إذ لم تؤد إلي الفتك بالجيش الأيوبي وجعله بين قتيل وأسير، بل تمكن قائده من الانسحاب من أرض القتال والعودة إلي قاعدته داخل مصر علي الرغم من الخسائر التي مني بها.

هكذا، تعد معركة تل الجزر معركة محدودة النتائج ولم تؤد إلي حسم الصراع الصليبي- الإسلامي لصالح الصليبيين علي نحو كامل، حقيقة أنها منعت تقدم الجيش الأيوبي صوب بيت المقدس، إلا أنها لم تؤد إلي اكتساب أية مكاسب جديدة للصليبيين أبعد من تحقيق ذلك الهدف التأميني للعاصمة السياسة والدينية لهم.

٣) عاش صلاح الدين الأيوبي (١٨) عاماً يعد معركة تل الجزر، وتمكن من الأخذ بثأره من خلال حطين عام ١١٨٧م، أما مانويل كومنين فلم يعش بعد أحداث مريا كيفالون سوى (٤) أعوام فحسب، ولم يثأر لهزيمته فيها بل أمضى الأعوام المذكورة مكتئباً وقد أفترسته ذكرى الهزيمة.

٤) الفارق الزمني بين المعركتين ما زاد قليلاً عن عام واحد فمعركة مركيفالون جرت في ١٧ سبتمبر ١١٧٦م، وتل الجزر حدثت في ٢٥ نوفمبر من عام ١١٧٧م، كما أن كلاً منهما حدث خلال شهور الشتاء القارص البرودة في آسيا الصغرى وكذلك صحراء جنوبي فلسطين.

٥) إذا ما قارنا بين سلوك القائدين في مجال المسؤولية التاريخية، نجد أن الإمبراطور البيزنطي لاذ بالفرار ولم يظهر شجاعة، أما صلاح الدين فقاوم ببسالة وتعرض للموت عدة مرات، إلي أن اضطر إلي الانسحاب ولا نغفل هنا الفارق بين القائدين فمانويل كومنين لم يكن رجلاً عسكرياً في الأساس أما صلاح الدين الأيوبي فهو قائد عسكري محترف وله تاريخه قبل معركة تل الجزر وكذلك بعدها حتى عام ١١٩٢م، وقد واجه العديد من المؤامرات والدسائس والمكائد علي نحو جعله يتمكن من اصدار قراره بالانسحاب واستيعاب الموقف بعد أن أبلي ضروباً من الشجاعة إلا أن الموقف ذاته كان أكبر من قدراته علي الاحتواء.

٦) إذا ما قارنا بين المعركتين في مجال المسؤولية، نجد أن القائدين يتحملان المسؤولية عما حدث، فكان علي الإمبراطور البيزنطي ألا يندفع في مواجهة غير محسوبة العواقب مع قلج ارسلان الثاني، ولم يدرس جيداً طبيعة المنطقة الجبلية المذكورة، كما أن جيشه افتقد التنظيم اللازم.

أما صلاح الدين الأيوبي؛ فيتحمل مسؤولية عدم الاهتمام بعناصر الكشافة في تلك المرحلة من مراحل الصراع مع الصليبيين، كذلك كان عليه تشيد موانع حربية يمكن اللجوء إليها في حالة الخطر.

٧) هناك فارق جوهري بين المعركتين من خلال إدراكنا أن معركة مركيفالون كانت لها أصداؤها الدولية الواسعة في الغرب الأوروبي حيث اهتزت مكانة الإمبراطورية البيزنطية هناك خاصة أمام الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد الإمبراطور فردريك باباروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) حيث أرسل رسالة إلي الإمبراطور المهزوم مانويل كومنين تفيض بالاحتقار ووصفه فيها علي أنه ملك اليونان Rex Greco rum وأعلن فردريك نفسه كوريث للأباطرة الرومان وكان ذلك يعني خضوع المملكة اليونانية Regnum Greciae[٣١].

هكذا يتضح لنا بجلاء أن تلك الهزيمة الفادحة لبيزنطة أثرت علي نحو مباشر علي ادعاءاتها حيال الغرب الأوروبي، أما معركة تل الجزر فكانت إقليمية محدودة ولم يكن لها تأثير علي الوزن السياسي للدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي نظراً لعدم وجود منافس ند له داخلياً أو تاريخياً علي نطاق منطقة الشرق الأدنى.

٨) هناك فارق بين المعركتين من خلال البعد الديني، إذ أن يوم معركة تل الجزر كان يوافق يوم عيد القديسة كاترين السكندرية الذي يوافق يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام، لذا اعتقد الصليبيون أن ذلك الانتصار جاء لهم دعماً من روح تلك القديسة، وكان من اليسير انتشار ذلك الاعتقاد من خلال النفسية الجماعية العامة في العصور الوسطي الأوروبية التي شهدت تنامي الظاهرة الدينية خاصة خلال عصر الحروب الصليبية الذي شهد المواجهة الشرسة بين عالمي المسيحية والإسلام بينما كان يوم معركة مركيفالون لا تمثل أية مناسبة دينية.

هكذا، نجد العديد من الجوانب التي يمكن من خلالها عقد مقارنة بين المعركتين المذكورتين، ذلك عرض عن معركتي مريا كيفالون ١١٧٦م، وتل الجزر عام ١١٧٧م كدراسة مقارنة.

الهوامش

(١) عن معركة مريا كيفالون أنظر:

John Kinnamos, The deeds of John and Manuel Comnenus, Trans. Charles M. Brand, Colombia 1976, pp. 146-147.

Nicetas Choniates O, City of Byzantium, Annales of Niketas Byzantium, Annales of Niketas Choniates, Trans, Hary Magolias, Wayne state University , Detroit 1984, pp. 101-107.

وليم الصوري، الحروب الصليبية، تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر ت. سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٩٠م، ص ص ٩٨٧-٩٨٨.

K. Turfan, "Recherches recentes sur la Bataille de Myriokephalon, R.I.H.M., 67, 1988, pp. 3-27.

R.J. LiLie, Die Schtacht Von Myriokephalon und sein Virkung auf das Byzantinischen Rich, R.E.B., 35, 1977, pp. 257-275.

W. Treadgold, A History of The Byzantine State and Society, California 1997, p. 649.

C. Diehl, History of The Byzantine Empire, Trans. George B. Elves, Princeton 1925, p. 119.

J. Hussey, The Byzantine World, New York 1961, p. 66.

G.Ostronorky, History of The Byzantine state, Trans. J. Hussey, Oxford 1956, p. 347.

علي عودة الغامدي، معركة مريا كيفالون ١١٧٦ من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى، العدد الأول، العام الأول ١٤٠٩هـ، ص ص ١٢٣-١٥٠، محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ٢٨١، زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطي بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص ص ١٠٠-١٠١، هولت، عصر الحروب الصليبية، تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى عام ١٥١٧م، ت . عادل إسماعيل هلال، ط. دمنهور ٢٠٠١م، ص ١٢٣، كلود كاهن، الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية، ت. أحمد الشيخ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٩٠ جان كلود شينيه، تاريخ بيزنطة، ت. جورج زيناني، ط. بيروت، ت. رأفت عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٦٨، أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط. بيروت ١٩٥٦م، جـ٢، ص ١٥٨، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الإسكندرية ب- ت، ص ٢٣٨، محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطي- دراسة في

التاريخ السياسي والحضاري (١١-١٣)، ط. الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ص ٢٢٠-٢٢١، محمد ترحيني، معالم التاريخ البيزنطي، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ٢٤٢، محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ص ٢٧٢-٢٧٣، شارلز أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ت. مصطفي طه بدر، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص ١١١، محمد زكي الوسيمي، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م، ص ١٨٤م، علي صالح المحيمين، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، ط. الإسكندرية ١٩٩٤م، ص ٢٣٣، حاشية (١)، محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص ص ١٨٤-١٩٢، محمد صالح الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ٤٧٠-٦٣٤هـ/١٠٧٧-١٢٣٧م، ط. عمان ٢٠٠٧م، ص ص ٢١٦- ٢٢٣، ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص ص ٦١٥-٦٦٦، إسحق عبيد، روما وبيزنطية، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٧٧.

محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة٢٠٠٧م، ص ص ٣٢٦-٣٢٨ نفسه، صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة ط. القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص ٢١١-٢١٢، زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطي، بيزنطة و سلاجقة الروم والعثمانيون، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ص ١٠٠- ١٠١، إسحق عبيد، روما وبيزنطة، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص، محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد مانويل كومنين، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م ، ص ص ٣٣٤-٣٤٨.

(٢) عن معركة تل الجزر أنظر :

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق أحمد أبيش، ط. دمشق ٢٠٠٩م، ص ١٢١، أبو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط. القاهرة ١٢٨٧هـ، جـ١، ص ٥٧٣، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب تحقيق جمال الدين الشيال، جـ٢ ، ص ص ٥٨- ٦٣، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفي زيادة، ط. القاهرة ١٩٣٤م ، جـ١/ ق١ ، ص ٦٤، اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. القاهرة ١٩٩٣م، جـ٣، ص ٣٩٨. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ص ١٠٠٢-١٠٠٥، يوشع براور، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص ٥٩، ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز

العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م، جـ٢، ص ص ٦٧٢-٦٧٣، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦-١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص ١٢٢، رينيه جروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أيبش، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص ٧٢، محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦-١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص ١٢٢، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي - الصليبي (معركة أرسوف ١١٩١م/٥٨٧هـ)، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص ٤٥؛نفسه، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٢٦، نفسه، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، طز القاهرة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، ص ٢١١، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص ٤١٢، يوسف درويش غوانمه، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص ١٢٠، خليل عثامنة، فلسطين فيالعهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧-١٥١٦م) ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٧٥، سعيد عاشور، الحركة الصليبية في العصور الوسطي، ط. القاهرة ٢٠٠٥م ، ص ٣٦.

P. Lauran, Saladin A man For ages, London 1974, p. 99.

(٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٨١.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

(٥) نفسه، نفس الصفحة، وعن آسيا الصغرى جغرافياً وتاريخياً أنظر: عثمان نوران، الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ت. علي عودة الغامدي، ط. الرياض ١٤١٨هـ. نعيمه إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية في القرن الثاني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.

(٦) محمد سهيل طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٨٦- يلاحظ أن كلمة مركيفالون تعني ألف رأس ومما يذكر أن الآلاف من البيزنطيين قتلوا ! في ذلك! في ذلك الموقع أكثر من مرة، عن ذلك أنظر: محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٣٢٦، حاشية (٤).

محمد صالح الزيباري، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ٤٧٠-٦٣٤هـ/١٠٧٧-١٢٣٧م، ط. عمان ٢٠٠٧م، ص ٢١٩.

(٨) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريني، ط. بيروت ١٩٩٣م، جـ٢، ص ص ٦٦٥-٦٦٦.

(9) P. Magdaline The Empire of Manuel I of Comnenos, 1143-1180, Cambridge. 1997, p. 93.

وعن معركة مانزكرت أنظر:

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز، ط. بيروت ١٩٠٨م ، ص ٤٠ –ص ٤٢، اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، تحقيق عبد المنعم محمود، بغداد ١٩٧٩م ، ص ٤٧.

Psellus, Chronographia ,in S.Ashourand H. Rabie, Fifty docunents in Medieval History, Cairo 1971, pp. 58-60. C.Cahen la Compagne de Mantzikert d,après des Sources Musuluans, B.IX, pp. 613-642. A.Friendly, The dread Ful day, The Battle of Manzikert, 1071, London 1981.

J.France, Victory in The East amilitary History of The First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153.

اسمت غنيم، معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسيللوس، مجلة كلية الآداب–جامعة الإسكندرية عام ١٩٨١م ، محمد نايف العمايرة و محمود الرويضي، معركة ملاز كرد جانب من العلاقات السلجوقية – البيزنطية (ذو القعدة من ٤٦هـ/ آب ١٠٧١م)، المنارة للبحوث والدراسات، م (١٣)، العدد (١) ذو القعدة ١٤٢٨هـ / آذار ٢٠٠٧م، ص ص ٥٩–٦٣، محمود سعيد عمران، الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجنيس ١٠٦٨–١٠٧١في ضوء حولية ميخائيل بسللوس، ضمن كتاب بحوث في مصادر العصور الوسطي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م ، ص ص ١٩٨– ٢٠٢، فايز نجيب إسكندر، البيزنطيون والسلاجقة في معركة ملازكرد ١٠٧١– ٤٦٣هـ في مصنف نقفور بريينيوس – دراسة مقارنة للمصادر، ط. الإسكندرية ١٩٨٤م – ص ١٠، آمال حسن، معركة مانزكرت ١٠٧١– ٤٦٣هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، الرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض عام ١٤٠٣هـ، سهيل زكار، المدخل إلي تاريخ الحروب الصليبية، ط. دمشق ١٩٨١م، ص ١٤٥، ص ١٥١، أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥–٥٧٠هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م. ص ص ٥١–٥٤، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص ٣٠٤– ٣٠٩، أحمد الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص ص ٣٣ –٣٥، سعيد عاشور العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص ٤٤.

(١٠) محمد عبد الشافي المغربي، آسيا الصغرى في العصور الوسطى– دراسة في التاريخ السياسي والحضاري (القرن ١١– ١٣م)، ط. الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ٢٢٦.

(١١) محمد صالح الزبياري، سلاجقة الروم، ص ٢١٦.

(١٢) نفسه، ص ٢٢١.ت قاهرة.

(١٣) نفسه، ص ٢٢٠.

(14) C.E., III ,ed .A.v Murray, Oxford 2006, p. 848.

القديسة كاترين السكندرية St. Catherine of Alexandria، عاشت في فجر المسيحية، وكانت تدين بالوثنية، ثم اعتنقت المسيحية وأخذت تدعو لها علي نحو أفزع الوثنيين وضايقوها إلي أن انتهي الأمر باستشهادها ،وقد اقام لها الإمبراطور البيزنطي جستينيان Justin ion في جنوبي سيناء (٥٢٧- ٥٦٥م) ديراً لها حوالي منتصف القرن السادس م، وثم نقل رفاتها إلي هناك ، وقد نسجت حولها أسطورة، ويوافق عيدها ٢٥ نوفمبر.

عنها أنظر:

D.Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, London 1978, pp. 209-210.

حسن مظهر، تاريخ دير القديسة كاترين، مجلة السياحة المصرية، العدد (١١٦)، عام ١٩٦٦م، ص ص ١٩-٢٦، جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطي، المؤرخ العربي، العدد (٤) عام ١٩٧٧م، ص ص ٩٨-١٢٢، نفسه ،دراسات في تاريخ كتاب جوزيف العصور الوسطي، ط. الإسكندرية ١٩٨٨م، ص ١٢٧، حاشية (٢) نقولا زيادة، الرحالون المسلمون والأوروبيون إلي الشرق العربي في العصور الوسطي، ط. بيروت ٢٠١٠م، ص ١٤٩، ص ١٥٠.

(١٥) عن الرملة أنظر:

ياقوت، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٧م، م(٢)، ص٤٢١، ص٤٢٢.

H,E. Mayer, Carving up Crusaders, The Early Ibelins and Ramla", in Outremer Studies in The History of Crusading Kingdom of Jerusalem, ed. B.Z. kedar, H.E. Mayer and R.C. Smail, Jerusalem 1982, pp. 101-118.

Id, The Origins of The Lordships of Ramla and lydda in The latin kingdom of Jerusalem , S., 60, 1985, pp. 537-552.

مرمرجي الدومنيكي بلدانيه فلسطين العربية، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص ص ١٣٧-١٤٤، صادق جودة، مدينة الرملة نشأتها - حتى عام ٤٩٢هـ /١٠٩٩م ن ط. بيروت ١٩٨٦م.

(١٦) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٦-١٢٩١م، ط. الإسكندرية ٢٠١١م، ص ١٢٢.

(١٧) خليل عثمانية، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (١١٨٧-١٥١٦م)، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص ٧٥.

(١٨) عن شبه جزيرة سيناء أنظر :

نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط. القاهرة ١٩١٦م، عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر، ط. القاهرة ١٩٤٦م، رفعت الجوهري، سيناء أرض القمر، ط. القاهرة ١٩٦٥م، أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٧٧م، يسرية عبد العزيز حسني، المدخل الشرقي لمصر دراسة في مواقع آثار شمالي سيناء، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطي، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٤)، عام ١٩٧٧م، ص ص ٩٨-١٢٢.

(١٩) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

(٢٠) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص ١٠٠٤.

(٢١) عن معركة البقيعة أنظر:

ابن الأثير، الباهر، ص ص ١٣٧-١٣٨، ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥٤م، جـ٢، ص ص ٣١٢-٣١٣،

William of Tyre, A History of deeds done beyond The Sea, Trans. E.A Babcock and A.C.krey, New York 1943, Vol. II, p. 306. Michel le Syrien, Chronique, ed. Chabot, Paris 1903, p. 324.

J.Richard ,la Comte de Tripoli sous la Dynastia Toulousaine, Paris 1945, p. 21.

عبد العزيز عبد الدايم، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر م، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص ٨٩ محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي – الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٤م، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٨٠- ١٨١، علي الصلابي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي، شخصيته وعصره، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(٢٢) خليل عثمانية، فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي، ص ٧٥ ،.

(23) C.E., III ,p.848.

(٢٤) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢ ، ص ٦٧٣.

(٢٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٢١.

(٢٦) محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص ٢١١، نيكتيا اليسيف، المملكة اللاتينية في القدس والحكام المسلمون في القرن الثاني عشر للميلاد خطوط كبري للعلاقات السياسية، ضمن كتاب الصراع الإسلامي-

الفرنجي علي فلسطين في القرون الوسطي، تحرير هادية دجاني- شكيل و برهان الدجاني، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص ٢٩٣.

(٢٧) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط. القاهرة ١٢٨٧هـ، جـ ١، ص ٥٧٣، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ط. الرياض ١٩٨٢م ، ص ٢٠٠.

(٢٨) من الممكن للقارئ الافادة من هذه الدراسة المتخصصة وهي وأن مرت عليها أعوام عديدة إلا انها مفيدة تماماً في موضوعها :

محمود رزق محمود، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى معركة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م.

(29) William of Tyre, Vol. II, pp. 426-431.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص ٢٧، الحويري، مصر في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٩٩.

(٣٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ط. القاهرة ب.ت، جـ١١، ص ٤٤٣- سحر السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، ط. الإسكندرية ٢٠٠٦م، ص ٩٣.

(٣١) هسى، العالم البيزنطي، ص ١٦٨.